

الرَّسَّالَة ٢٥١

كَنِيسَة بَلَا جُدْرَان

(Arabic – Church without walls)

أحبائي.. حَدِيثَنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ: كَنِيسَة بَلَا جُدْرَان

وَمِنْ سِفْرِ أَعْمَالِ الرَّسُلِ الْأَصْحَاحِ الثَّانِي نَقَرْنَا الْعَدَدَيْنِ الْحَادِي وَالْأَرْبَعِينَ وَالسَّابِعَ وَالْأَرْبَعِينَ:

" فِقْبَلُوا كَلَامَ بَطْرُسَ بِفَرَحٍ وَاعْتَمِدُوا. وَانْضَمَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافِ نَفْسٍ. وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ".^١

لَقَدْ أَخَذَ الْإِسْمَ كَنِيسَة مِنَ اللَّغَةِ السَّرِّيَانِيَّةِ. ذَلِكَ مُنْذُ بَدَأَ الْقُرْنُ الْأَوَّلُ لِلْمَسِيحِيَّةِ. وَأُطْلِقَ عَلَى جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ بِسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. وَلِكِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أُطْلِقَ أَيْضًا عَلَى مَكَانِ اجْتِمَاعِهِمْ. وَفِي الْعُصُورِ الْحَدِيثَةِ أُطْلِقَ عَلَى الطَّوَائِفِ الْمَسِيحِيَّةِ لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَهَا. فَيُقَالُ الْكَنِيسَة الْكَاثُولِيكِيَّةَ أَوْ الْكَنِيسَة الْأَرْثُوذُكْسِيَّةَ أَوْ الْكَنِيسَة الْإِنْجِيلِيَّةَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الطَّوَائِفِ الْمُتَعَدِّدَةِ. وَفِي الْحَقِيقَةِ هَذِهِ الْكَنَائِسُ جَمِيعًا تَوَلَّفَ كَنِيسَة وَاحِدَةً. تَضُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أَبْنَاءَ اللَّهِ. وَلَا ضَيْرَ مِنَ الطَّوَائِفِ إِنْ لَمْ تَضَعِ الطَّائِفَةُ الْمُؤْمِنَ فِي عَزْلَةٍ عَنِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فِي الطَّائِفَةِ الْأُخْرَى.^٢

وَلَا ضَيْرَ مِنْ تَسْمِيَةِ الْمَبَانِي الْمُخَصَّصَةِ لِاجْتِمَاعِ الْمَسِيحِيِّينَ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْمِ كَنَائِسٍ. فَالْمَدْلُولُ وَأَضِحُّ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَأْسُ الْكَنِيسَةِ الْوَاحِدَةِ. الْمُؤَلَّفَةُ مِنْ جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَوْلُودِينَ ثَانِيَةً وَالْمُنْتَشِرِينَ فِي جَمِيعِ بِلَادِ الْعَالَمِ. الَّذِينَ يَضُمُّهُمْ مَعًا لَا الْمَبْنَى وَلَا الطَّائِفَةُ بَلْ الْإِيمَانُ الْوَاحِدُ. لِأَنَّهُمْ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ لِرَاعٍ وَاحِدٍ. قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ عَنِ نَفْسِهِ: "أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ. وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذُلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ". وَلَقَدْ أَحَبَّ الرَّبُّ يَسُوعُ الْكَنِيسَةَ الَّتِي بَدَلَ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِهَا لِيَفْتَدِيَهَا بِدَمِهِ. إِذْ أَنَّهُ تَنَزَّلَ أَخْذًا صُورَةً عَبْدٍ صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. مِنْ أَجْلِ تِلْكَ الْكَنِيسَةِ الْوَاحِدَةِ. لَيْسَتْ الطَّائِفَةُ. وَلَيْسَتْ الْمَبْنَى ذَا الْجُدْرَانِ. بَلْ مِنْ أَجْلِ النُّفُوسِ الْغَالِيَةِ الْعَزِيزَةِ عَلَى قَلْبِهِ.^٣

لَا جِدَالَ أَنَّنَا نَحْتَاجُ إِلَى تِلْكَ الْمَبَانِي الَّتِي نَسَمِّيهَا كَنَائِسٍ. إِذْ تَسْتَحِيلُ الْعِبَادَةُ كَجَمَاعَةٍ مَا لَمْ يَضُمَّ الْعَابِدِينَ الْمَبْنَى الْمُنَاسِبُ. اللَّائِقُ بِمَجْمَعِ الْقَدِيسِينَ فِي حَضْرَةِ الرَّبِّ الْقُدُّوسِ. دُونَ مَا يُزْعِجُ الْعَابِدِينَ وَالْعَابِدَاتِ أَوْ يُشْتِتُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ. لِأَنَّ الْكَنِيسَةَ "بَيْتُ الصَّلَاةِ يُدْعَى" كَمَا قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ لِقَوْمِ اسْتَهَانُوا بِقُدْسِيَّةِ الْمَكَانِ الَّذِي خُصَّصَ لِلْعِبَادَةِ. وَلَقَدْ تَبَارَى النَّاسُ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ فِي الْإِنْفَاقِ بِيَذْخِ عَلَى تِلْكَ الْمَبَانِي. حَتَّى أَضْحَتْ مَرَارَاتِ سِيَاحِيَّةٍ لِاسْتِمَاعِ السَّائِحِينَ بِالْفَنِّ الرَّفِيعِ. فِي الْعِمَارَةِ وَالنَّحْتِ وَالرَّسْمِ لِأَشْهُرِ الْفَنَّانِينَ. الَّذِينَ قَامُوا بِتَشْيِيدِهَا وَعَمَلِ التَّمَاتِيلِ الرَّخَامِيَّةِ وَاللُّوْحَاتِ التَّصَوِيرِيَّةِ لِأَنْبِيَاءِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ. كَمَا لِلْسَيِّدِ الْمَسِيحِ وَلِلْقَدِيسَةِ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمَ وَلِلرَّسُلِ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ. هَذِهِ الرِّوَايَعُ الْفَنِّيَّةُ تَحُورُ إِعْجَابَ وَعَجَبَ الْمُشَاهِدِينَ. وَتَبْهَرُ أَبْصَارَهُمْ وَتَأْخُذُ بِأَلْبَابِهِمْ. وَلَكِنْ لِأَسْفَى تِلْكَ الْكَنَائِسُ بِجَمَالِهَا وَرَوْعَةِ نَقُوشِهَا الَّتِي تَرْتَبُّ جُدْرَانَهَا وَأَسْفَقَهَا وَأَبْوَابَهَا تَجْدُبُ السَّائِحِينَ لَا الْعَابِدِينَ.^٤

كَمْ هُوَ أَمْرٌ مَحِيرٌ لَوْ تَخَيَّلْنَا السَيِّدَ الْمَسِيحَ أَنَّهُ جَاءَ الْآنَ فِي جَوْلَةٍ. مُسْتَطَلِعًا مَا بِدَاخِلِ وَخَارِجِ تِلْكَ الْأُبْنِيَّةِ. هَلْ يَحُورُ إِعْجَابَهُ كَثِيرًا تَمَثُّلًا صَنْعُوهُ لَهُ وَيَتَمَسَّحُ فِيهِ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ؟ بِمَاذَا نَجِيبُهُ؟. لَوْ سَأَلْنَا: "لِمَاذَا صَنَعْتُمْ كُلَّ ذَلِكَ فِي بَيْتِي؟. أَمَا قُلْتُمْ لَكُمْ أَنَّ بَيْتِي بَيْتُ الصَّلَاةِ يُدْعَى؟". لَوْ تَخَيَّلْنَا بَطْرُسَ وَبُولَسَ وَالْعَذْرَاءَ مَرْيَمَ أَنَّهُمْ رَأَوْا تَمَاتِيلَهُمُ الْمَنْحُوتَةَ وَالْمَوْضُوعَةَ دَاخِلَ الْكَنَائِسِ وَقَدْ أَتَفَّقَ عَلَى صَنْعِهَا الْكَثِيرُ مِنَ الْوَقْتِ وَالْجُهْدِ وَالْمَالِ. فَمَاذَا يَكُونُ قَوْلُهُمْ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَصْدَرُوا أَمْرَهُمْ لِإِنْفَاقِ أَمْوَالِ الْكَنِيسَةِ وَجُهُودِهَا وَوَقْتِهَا فِي صَنْعِ تَمَاتِيلِ. بِمَاذَا يُجِيبُونَ؟.^٥

استمع إلى الإنجيل

إنجيل يوحنا ١٠: ١١

إنجيل لوقا ١٩: ٤٦

^١ سفر أعمال الرسل ٢: ٤١ & ٤٧

^٢ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ١٦: ١ & ٥ & ٢٣

^٣ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٤: ١٥

^٤ إنجيل متى ٢١: ١٣

^٥ رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ١٢: ١٥

يُوجَدُ بِمِصْرَ الْعَدِيدِ مِنْ تَمَائِيلِ الْمُلُوكِ وَالْمَلِكَاتِ مِنْ عَهْدِ الْفِرَاعَةِ. وَلَسْنَا نَلُومُهُمْ فَهْمٌ بِجَهْلٍ وَضَعُوهَا فِي مَعَابِدِهِمْ لِتَأْيِيدِهِ الْمَخْلُوقِ وَتَجَاهُلِ الْخَالِقِ. وَلَكِنْ بِمَاذَا نَعْتَذِرُ لَأَنْفُسِنَا نَحْنُ الْمَسِيحِيِّينَ. إِذَا صَنَعْنَا فِي كَنَائِسِنَا مَا صَنَعَ الْفِرَاعَةُ فِي مَعَابِدِهِمْ. إِنَّ مَا يُنْفَقُ عَلَى بَعْضِ الْكَنَائِسِ يُعَادِلُ عَشْرَاتِ الْمَلَائِيينَ مِنَ الدُّوَلَارَاتِ. كَانَ الْأُولَى اسْتِخْدَامَ ذَلِكَ الْقَدْرِ مِنَ الْمَالِ لِبِنَاءِ عَشْرَاتِ الْكَنَائِسِ دُونَ بَذْخٍ لِيَتَعَبَّدَ فِيهَا كَثِيرُونَ. وَكُنَّا اسْتَطَعْنَا تَحْقِيقَ مَا أَوْصَى بِهِ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ بِإِنْجِيلِ مَرْقَسِ الْأَصْحَاحِ السَّادِسِ عَشَرَ إِذْ قَالَ: "اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ وَاكَرِّزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا".^١

أُولَئِكَ الذَّهَابُ لِلْكَرَازَةِ لِلْعَالَمِ الْغَارِقِ فِي الْخَطِيئَةِ وَالذِّي يَسْتَأْجِرُ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ تَتَطَلَّبُ إِتْفَاقَ أَمْوَالٍ عَلَى مُرْسَلِينَ نَرْسِلُهُمْ لِتَوْصِيلِ الْأَخْبَارِ السَّارَةِ لِتِلْكَ النَفُوسِ؟ مِنْ أَيْنَ لِلْكَنَائِسِ كَيْ تَتَفَقَّ عَلَى نَحْتِ تَمَائِيلٍ وَتَحْفِ ثَمِينَةٍ فِي دُورِ الْعِبَادَةِ وَعَلَى الْكَرَازَةِ بِرِسَالَةِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ؟ إِنَّا نَوْجُهُ الْيَوْمَ إِلَى الْقَادَةِ الَّذِينَ أَعْمَضُوا عِيُونَهُمْ. فَلَمْ يَرَوْا حَاجَةَ الْعَالَمِ الْحَقِيقِيَّةِ. لَقَدْ صَنَعُوا شَيْئًا يَقْتَرِنُ بِأَسْمَائِهِمْ لِتَنْتَعِظَ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ بِرَوَائِعِ الْفَنِّ وَالْمَعْمَارِ. لَقَدْ جَاءَ بِإِنْجِيلِ لُوقَا بِالْأَصْحَاحِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ عَنِ الْهَيْكَلِ بِأُورُشَلِيمَ إِذْ كَانَ قَوْمٌ يَقُولُونَ عَنِ الْهَيْكَلِ أَنَّهُ مُرِينٌ بِحِجَارَةٍ حَسَنَةٍ وَتَحْفِ. قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ لَهُمْ: "هَذِهِ الَّتِي تَرَوْنَهَا، سَتَأْتِي أَيَّامٌ لَا يُتْرَكُ فِيهَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لَا يُتَفَضُّ".^٢

عَزِيزِي الْقَارِئُ.. لَا أَظُنُّ أَنَّ الْحِجَارَةَ الْحَسَنَةَ وَالتَّحْفَ الَّتِي تَرَيْنُ كَنَائِسِنَا، تَرُوقُ فِي عَيْنِي الرَّبِّ. مَا يَرُوقُ فِي عَيْنِي هُوَ النَفُوسُ الرَّاجِعَةُ إِلَيْهِ تَائِيَةً وَلَيْسَ إِلَّا. النَفُوسُ الَّتِي تَطْلُبُ وَجْهَهُ وَتَرْفَعُ أَكْفَ الضَّرَاعَةَ سَائِلَةً الْخَلَاصَ وَالتَّحْرِيرَ. لَقَدْ سَمَّرَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ عَلَى خَشَبَةِ الصَّلِيبِ لَا لِتَبْنِي مِنْ أَجْلِهِ كَنَائِسَ مُرِينَةً بِحِجَارَةٍ وَتَحْفِ. وَلَكِنْ لِبِنَاءِ النَفُوسِ لِتَنْعَمَ بِمَلَكُوتِهِ الْأَبَدِيِّ. هَذِهِ النَفُوسُ هِيَ الَّتِي تَرَيْنُ الْكَنَائِسَ وَتَجَمَّلُهَا. فَالْحِجَارَةُ الْكَرِيمَةُ وَالتَّحْفُ الثَمِينَةُ بِالْكَنَيْسَةِ لَا تَبْكِي الْخَاطِئَ عَلَى خَطَايَاهُ. وَلَيْسَتْ هِيَ الَّتِي تَجْذِبُ الْبَعِيدِينَ لِتَنَالُوا الْخَلَاصَ أَوْ تَسْجُمَهُمْ لِتَقْدِيمِ عِبَادَةٍ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ. لِأَنَّ تِلْكَ النَفُوسَ إِذَا تَحَرَّرَتْ مِنْ سُلْطَانِ إِبْلِيسَ تَحَقِّقُ الْهَدَفَ الْأَسْمَى مِنْ بِنَاءِ الْكَنَيْسَةِ.^٣

إِنَّ جُذْرَانَ الْكَنَيْسَةِ هِيَ لِعَزَلِ شَعْبِ اللَّهِ عَنِ الْعَالَمِ الشَّرِيرِ لِتَقْدِيمِ عِبَادَةٍ مُقَدَّسَةٍ فِي مَكَانٍ مُقَدَّسٍ. وَلَكِنْ لِلْأَسْفِ مَا نَرَاهُ الْيَوْمَ أَنَّ تِلْكَ الْجُذْرَانَ تَعَزَلُ شَعْبَ اللَّهِ بَعْضُهُ عَنْ بَعْضٍ. حَاجَتُنَا إِلَى كَنَيْسَةٍ بِلَا جُذْرَانَ عَازِلَةٍ لِشَعْبِ اللَّهِ. حَاجَتُنَا إِلَى بِنَاءِ كَنَائِسٍ يَدْخُلُ إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُ دُونَ إِحْسَاسٍ بِانْعِزَالِيَّةٍ أَوْ اغْتِرَابٍ. كَنَيْسَةٌ وَاحِدَةٌ فِي مَبْنَاهَا وَمَعْنَاهَا مَهْمًا تَعَدَّدَتِ الطَّوَائِفُ. فَلَا ضَيْرَ مِنَ الْمُسَمِّيَّاتِ طَالَمَا الْجَوْهَرُ بَاقٍ. قَالَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ فِي صَلَاتِهِ إِلَى الْأَبِّ: "وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ فَقَطْ. بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلَامِهِمْ. لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا كَمَا أَنْتَ أَنْتَ أَيُّهَا الْأَبُّ فِي وَأَنَا فِيكَ. لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِيْنَا. لِئُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي". لَقَدْ اسْتَحْدَمَ الرُّوحَ الْقُدُسَ بِطَرَسٍ يَوْمَ الْخَمْسِينَ فَمَنْ ثَلَاثَةَ أَلْفِ نَفْسٍ. "وَكَانَ الرَّبُّ يَضُمُّ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْكَنَيْسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ".^٤

كَانَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَوَائِلُ بِأُورُشَلِيمَ يَجْتَمِعُونَ فِي الْهَيْكَلِ بَعْدَ إِعْلَانِهِمْ مَسِيحِيَّتَهُمْ. مَعَ أَنَّ الْهَيْكَلُ لَمْ يَكُنْ بِالْمَكَانِ الْمُنَاسِبِ لَهُمْ. إِذْ لَمْ تَمُضْ أَيَّامٌ حَتَّى أَلْقَى رُؤْسَاءُ الْكَهَنَةِ الْقَبِيضَ عَلَى بُطْرُسَ وَبَعْضَ التَّلَامِيذِ. كَانُوا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَنَيْسَةً بِلَا جُذْرَانَ وَكَانَ الرَّبُّ يَضُمُّ إِلَى تِلْكَ الْكَنَيْسَةِ الَّتِي بِلَا جُذْرَانَ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ. سَمِعُوا الرَّبَّ يَقُولُ: "ابْنِي كَنَيْسَتِي" وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. وَأَمِنُوا أَنَّ الرَّبَّ يَنْبِيهَا. وَبِنَاهَا لَا مِنْ حِجَارَةٍ حَسَنَةٍ وَتَحْفِ. وَلَكِنْ مِنَ النَفُوسِ الرَّاجِعَةِ مِنْ مَمْلَكَةِ إِبْلِيسَ. وَوَعَدَ بِحِفْظِهَا وَحِمَايَتِهَا. إِذْ قَالَ الرَّبُّ بِإِنْجِيلِ يُوحَنَّا الْأَصْحَاحِ الْعَاشِرِ "خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتَّبَعْنِي وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ وَلَا يَخْطِفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي".^٥

لِيَتِكَ أَخِي تَشْتَرِكَ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ إِلَهِي. فَقَدْ دَفَعْتَ ثَمَنًا غَالِيًا لِتَأْتِي بِنَا إِلَى حَظِيرَتِكَ. مَا أَعْظَمَ حُبِّكَ يَا مَنْ دَبَّرْتَ أَمْرَ خَلَاصِنَا فِي الصَّلِيبِ. هَبْنَا نَعْمَةً لِتَرْفَعَ كُلَّ جِدَارٍ عَازِلٍ بَيْنَنَا لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا. لِئُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَ الْإِبْنَ الْوَحِيدَ لِخَلَاصِنَا. أَسْأَلُكَ عَوْنًا كَيْ أَعْمَلَ مَا يُرْضِيكَ وَيُمَجِّدُ اسْمَكَ الْقُدُّوسَ. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ فَادِي. مُؤْمِنًا بِصِدْقِ وَعْدِكَ يَا مَنْ قُلْتَ: مَنْ يَقْبَلْ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أَخِي الْقَارِئُ الْعَزِيزُ.. إِنَّ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل مرقس ١٦: ١٥

^٢ إنجيل لوقا ٢١: ٥ - ٦

^٣ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٢: ٤

^٤ إنجيل يوحنا ١٧: ٢٠ - ٢١

^٥ إنجيل متى ١٦: ١٨ ، إنجيل يوحنا ١٠: ٢٧ - ٢٨